المعقِد الثَّالث
جمع هِمَّة النَّفس عليه

تُجمع الهِمَّة علىٰ المطلوب بتَفقُّد ثلاثة أمورٍ:

أوَّلِها: الحرص علىٰ ما ينفع، فمتىٰ وُفِّق العبد إلىٰ ما ينفعه حَرَص عليه.

ثانيها: الاستعانة بالله ﷻ في تحصيله.

ثالثِها: عدم العجز عن بلوغ البُغية منه.

وقد جُمِعت هٰذه الأمورُ الثَّلاثة في الحديث الَّذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**احرِصْ علىٰ ما ينفعك، واستعنْ بالله ولا تَعْجِزْ**».

قال الجُنَيد رحمه الله: «ما طلب أحدٌ شيئًا بجدٍّ وصدقٍ إلَّا ناله، فإن لم يَنَلْه كلَّه نال بعضه».

وقال ابن القيِّم رحمه الله في كتابه «الفوائد»:

«إذا طلع نجم الهِمَّة في ظلام ليل البَطالة، ورَدِفه قمرُ العزيمة؛ أشرقت الأرض بنور ربِّها».

وإنَّ ممَّا يعلي الهِمَّة ويسمو بالنَّفس: ٱعتبارَ حال مَن سبق، وتعرُّفَ هِمم القوم الماضين.

فأبو عبد الله أحمد ابن حنبلٍ كان ـ وهو في الصِّبا ـ ربَّما أراد الخروج قبل الفجر إلىٰ حِلَق الشُّيوخ، فتأخذ أُمُّه بثيابه وتقول ـ رحمةً به ـ: «حتىٰ يُؤَذِّنَ النَّاس أو يُصبحوا».

وقرأ الخطيب البغداديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ «صحيحَ البخاريِّ» كلَّه علىٰ إسماعيل الحِيريِّ في ثلاثة مجالسَ؛ ٱثنان منها في ليلتين من وقت صلاة المغرب إلىٰ صلاة الفجر، واليوم الثَّالث من ضحوة النَّهار إلىٰ صلاة المغرب، ومن المغرب إلىٰ طلوع الفجر.

وكان أبو محمَّدٍ ابنُ التَّبَّانِ أوَّلَ ٱبتدائه يدرس اللَّيل كلَّه، فكانت أُمُّه ترحمه وتنهاه عن القراءة باللَّيل، فكان يأخذ المصباح ويجعله تحت الجَفنة ـ شيءٍ من الآنية العظيمة ـ ويتظاهر بالنَّوم، فإذا رقدت أخرج المصباح وأقبل علىٰ الدَّرس.

فكن رجلًا رِجْلُه على الثَّرىٰ ثابتة، وهامةُ همَّته فوق الثُّريا سامقة، ولا تكن شابَّ البدن أشيبَ الهِمَّة؛ فإنَّ هِمَّة الصَّادق لا تشيب.

كان أبو الوفاء ابن عَقيل ـ أحدُ أذكياءِ العالم من فقهاء الحنابلة ـ يُنشِد وهو في الثَّمانين:

مـا شـاب عـزمـي ولا حـزمـي ولا خُـلُـقـي
ولا ولائـــي ولا ديـــنـــي ولا كـــرمـــي

وإنَّـمـا ٱعـتـاض شـعـري غـيـرَ صِـبـغـتـه
والشَّيبُ في الشَّعر غيرُ الشَّيب في الهِمـمِ